



علو الهمة
في
الاحتساب والنِيَّة

علو الهمة في الاحتساب والنية

□ «النية هي رأس الأمر وعموده، وأساسه وأصله الذي يُبنى عليه، فإنها روح العمل، وقائده وسائقه، والعمل تابع لها يُبنى عليها، يصح بصحتها، ويفسد بفسادها، وبها يُستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة»^(١).

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(٢).

قدموا النية، وانووا الخير:

□ قال سفيان الثوري: «ما ضعف بدن قط عن مبلغ نيته، فقدّموا النية ثم اتبعوها»^(٣).

﴿أخي﴾: من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شأنه الله.

(١) «إعلام الموقعين» لابن قيم الجوزية (٤/١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/٩ و ١٣٥)، (٥/١٦٠)، (٧/٢٢٦)، (٩/١١٥)،

(١١/٥٧٢)، (١٢/٣٢٧)، ومسلم (٧/١٩٠٧)، وأبو داود (٢/٣٥٢)، والترمذي

(١/١٩٨)، والنسائي (١/٨٥)، (٧/١٣)، (٦/١٥٨)، وابن ماجه (٢/١٤١/

٤٢٢٧)، وأحمد (١/٢٥، ٤٣)، والخطاوي في «شرح معاني الآثار»، وابن

خزيمة، والدارقطني في «سننه».

(٣) «حلية الأولياء» (٧/٥٤).

□ قال إبراهيم النخعي: «إن الرجل ليتكلم بالكلام، على كلامه المقت، ينوي فيه الخير، فيُلقي الله وَجَلَّ لَهُ الْعِزَّةُ له العذر في قلوب الناس، حتى يقولوا: ما أراد بكلامه هذا إلا الخير، وإن الرجل يتكلم بالكلام الحسن لا يريد به الخير فيُلقي الله وَجَلَّ لَهُ الْعِزَّةُ له في قلوب الناس حتى يقولوا: ما أراد بكلامه هذا الخير»^(١).

□ قال الإمام أحمد لابنه: «يا بُنَيَّ انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير»^(٢).

• عن ميمونة رضي عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أدان ديناً ينوي قضاءه أداه الله عنه يوم القيامة»^(٣).

* النية سبب عظيم للتوفيق قال: ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾^٥
[النساء: ٣٥].

□ قال الإمام النووي: «النية معيار لتصحيح الأعمال فحيث صلحت النية صلح العمل وحيث فسدت فسدت العمل».

□ وقال ابن رجب: «صلاح العمل وفساده، بحسب النية المقتضية لإيجاده».

□ وقال داود الطائي: «رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية وكفاك بها خيراً».

(١) إسناده صحيح.

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص ٢٧٤).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وكذا رواه أحمد في «مسنده» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٨٦).

□ وقال ابن المبارك: «رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية».

□ وقال الإمام أحمد بن حنبل: «أحب لكل من عمل عملاً من صلاة أو صيام أو صدقة أو نوع من أنواع البر أن تكون النية متقدمة في ذلك قبل الفعل».

□ وقال الفضيل بن عياض: «إنما يريد الله عَزَّ وَجَلَّ منك نيتك وإرادتك».

□ وقال الشيخ علي سلطان القاري: «اعلم أن عدم وصول المرید إلى النهاية، لعدم تصحيح النية في البداية، فعدم الوصول لفقد الأصول».

فصحَّ النية بالهمة العلية.

□ قيل لحبيب بن أبي ثابت التابعي مفتي أهل الكوفة والمعول عليه عندهم: حدثنا عن أشق شيء؟ قال: مجيء النية.

□ وقال يوسف بن أسباط: «تخليص النية من فسادها أشدَّ على العاملين من طول الاجتهاد».

□ والله در القائل: «بحسن النية تقهرون الهوى، وبترك الشهوات تصفو أعمالكم».

تفقد نيتك وراعها:

□ قال نعيم بن حماد: «ضرب الشياطين أهون علينا من النية الصالحة».

□ وقال المناوي: «قال الغزالي: الشأن في صحة النية فهي معدوم غرور الجُهَّال ومزلة أقدام الرجال»^(١).

(١) «فيض القدير» للمناوي (٦/٤٤).

فَضْلُ النِّيَّةِ :

١- يَبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ :

• عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»^(١).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبعثُ الناس على نِيَّاتِهِمْ»^(٢).

• وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشَرُ الناس على نِيَّاتِهِمْ»^(٣).

يُحشَرُ الناس ويبعثون على نِيَّاتِهِمْ فاحذر أن يفضحك ميراثك: نيتك يوم القدوم على ربك واعلم أن خلوص النية لرب البرية هو خلاصة العطية.

٢- من كانت الآخرة همّةً :

* قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩) [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران].

(١) أخرجه مسلم، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرک»، والطحاوي .

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٠١٤).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه عن جابر، وكذا رواه الحاكم في «المستدرک»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٠٤٢).

* وقال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤]. قال قتادة: «على نيته»^(١).

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همّة، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همّة جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأتها من الدنيا إلا ما قُدّر له»^(٢).

• وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت الدنيا همّة فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه؛ ولم يأتها من الدنيا إلا ما كُتِبَ له، ومن كانت الآخرة نيّته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه؛ وأتته الدنيا وهي راغمة»^(٣).

• وقال رسول الله ﷺ: «إنه من تكن الدنيا نيّته يجعل الله فقره بين عينيه، ويُسْتَتَّ عليه ضيعته، ولا يأتية منها إلا ما كُتِبَ له، ومن تكن الآخرة نيّته يجعل الله غناه في قلبه، ويكفيه ضيعته، وتأتيه الدنيا وهي راغمة»^(٤).

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/٥٨) - المكتبة القيمة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن أنس، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٤٩ - ٩٥٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٥١٠).

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢/٥٢٤ - ٢٥٢)، وابن حبان (٧٢)، وقال المنذري رواه ثقات، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وقال الألباني: إسناده صحيح انظر: «السلسلة الصحيحة» (٩٥٠).

(٤) صحيح لغيره: رواه الطبراني في «الأوسط» (٨/١٣٣/٧٢٦٧) عن زيد بن ثابت. وقال المنذري: إسناده لا بأس به، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٣/٢٣١/٣١٦٨): «صحيح لغيره».

٣- الخلود في الجنة أو النار بالنيّات:

□ قال الحسن: «إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيّات»^(١).

كھ قد يقول قائل: «لِمَ يعذب الله الكافر بالخلود في النار مددًا لا نهاية لها مع أن العدل يقتضي أن يعذبه بمقدار المدة التي كفرها؟ ولم يخلد المؤمن في الجنة مع أنه لم يؤمن ولم يطع إلا مدة محدودة من الزمان، بل قد يسلم لله قبل الغرغرة ويدخل في الإسلام ويموت ولم يسجد لله سجدة واحدة؟

والسبب في ذلك أن المؤمن ينوي أن يطيع الله أبدًا، فجوزي بالخلود جزاء نيته، والكافر كان عازمًا وناويًا الكفر أبدًا فجوزي بنيته^(٢)، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣) [الأنعام].

٤- حفظ العبد على قدر نيته:

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنما يُحفظ الرجل على قدر نيّته».

□ وكتب سالم بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز: «اعلم أن عون الله للعبد على قدر النيّة، فمن تمّت نيته تم عون الله له، وإن نقصت نقص بقدرها»^(٣).

٥- يبلغ المرء بنيّته ما لا يبلغه بعمله:

□ قال جعفر بن حيان: «ملاك هذه الأعمال النيّات، فإن الرجل يبلغ

(١) «الإحياء» (٤/٣١٧).

(٢) انظر: «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص ١١)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١/٥٥٦).

(٣) «الإحياء» (٤/٣١٧).

بنيته ما لا يبلغه بعمله».

□ قال ثابت البناني: «نية المرء أبلغ من عمله، إن المؤمن ينوي أن يقوم من الليل، ويصوم النهار، ويخرج من ماله، فلا يتابعه نفسه على ذلك، فنيته أبلغ من عمله»^(١).

من رحمة الله ونعمه على عباده أن جعل من عزم ونوى فعل الخير كمن فعله، ومن نوى الغزو كمن غزا.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﻋَزَّ وَجَلَّ: إذا تحدث^(٢) عبدي أن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها».

• وقال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكة: ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة - وهو أبصر به فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرّاي»^(٣) «^(٤).

* وتخلف رجال من الصحابة في غزوة تبوك لم يكن عندهم زاد ولا راحلة حبسهم العذر، ولم يكن عند النبي ﷺ ما يحملهم عليه، وبكوا بكاء الرجال شوقاً إلى الغزو فعلم الله نياتهم، فشاركوا الغزاة في الأجر،

(١) «حلية الأولياء» (٢/٣٢٦).

(٢) أي: «هم» كما في الرواية الأخرى، وفي رواية ثالثة: «أراد».

(٣) أي: من أجلي.

(٤) رواه مسلم في «الإيمان» باب إذا هم العبد بحسنة (١/١١٧، ١١٨)، حديث

قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة].

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزاة، فقال: «إن بالمدينة أقوامًا ما سرتهم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم»^(١). قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حسبهم العذر»^(٢).

• وقال صلى الله عليه وسلم: «إن بالمدينة أقوامًا ما سرتهم مسيرًا، ولا أنفقتهم من نفقة، ولا قطعتم واديًا، إلا كانوا معكم فيه وهم بالمدينة، حسبهم العذر»^(٣).
• وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أقوامًا بالمدينة خلفنا؛ ما سلكنا شعبًا، ولا واديًا إلا وهم معنا، حسبهم العذر»^(٤).

فالكريم المنان المطلع على خبايا النفوس يرفع الراغب في الجهاد إلى مراتب المجاهدين؛ لأن بُعد همهم، وشرف نياتهم أرجح لديه من عجز

(١) في رواية الإسماعيلي كما قال الحافظ في «فتح الباري» (٤٧/٦): «إلا وهم معكم فيه بالنية»، وفي حديث جابر عند مسلم (١٩١١): «إلا شركوكم في الأجر» أي أن لهم من الأجر مثل أجر الغازي.

(٢) «صحيح البخاري» كتاب الجهاد- باب من حسبه العذر «فتح الباري» (٤٦/٦)، (٤٧) (ح ٢٨٣٩)، وكتاب المغازي، باب نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحجر (١٢٦/٨) (ح ٤٤٢٣).

(٣) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، وابن ماجه عن أنس، ومسلم، وابن ماجه عن جابر.

(٤) رواه البخاري عن أنس.

- وسائلهم، ولا يهدر الله يقينهم الراسخ ورغبتهم العميقة في التضحية.
- وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»^(١).
- وقال ﷺ: «من سأل الله القتل في سبيل الله، صادقاً من قلبه، أعطاه الله أجر شهيد، وإن مات على فراشه»^(٢).
- والله لو لم يكن من فضيلة للنيات إلا هذا الحديث لكفى.
- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر؛ كُتِبَ له مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً»^(٣).
- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، فغلبته عيناه حتى أصبح»^(٤)، كُتِبَ له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه ﷻ»^(٥).

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٩٠٩)، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي وابن حبان والحاكم عن معاذ، والحاكم في «المستدرک» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٧٧).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» - كتاب الجهاد - باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة «فتح» (١٣٦/٦) رقم (٢٩٩٦)، وكذا رواه أبو داود.

(٤) أي: نام وهو عازم على قيام الليل، فلم يقم تلك الليلة من غير تفریط منه، ولكن غلبه النوم فلم يقم - انظر «النية» للدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين.

(٥) صحيح: رواه النسائي (١٧٨٧)، وابن ماجه (١٣٤٤)، ورواه النسائي موقوفاً بعد ذلك وله حكم الرفع، ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٥٨٨) «الإحسان». وقال المنذري: إسناده جيد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (ص ١٢)،

□ قال داود الطائي: «البر همته التقوى، فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوماً إلى نية صالحه، وكذلك الجاهل بعكس ذلك».

□ قال بعض العلماء: «اطلب النية للعمل قبل العمل، وما دمت تنوي الخير فأنت بخير. وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول: من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملاً لله تعالى فإني لا أحب أن يأتي علي ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله؟ فقيل له: قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا فترت أو تركته فهمم بعمله فإن الهام بعمل الخير كعامله»^(١).

٦- النية سر العبودية وروحها، والعمل بغير نية لا ينفع:

□ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى، والورع عملاً حرم الله تعالى، وصدق النية فيما عند الله»^(٢).

□ وقال بلال بن سعد: «إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله، فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر في ورعه، فإن تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى، فإن صلح، نيته فبالحري أن يصلح ما دون ذلك. فإن عماد الأعمال النيات، فالعمل مفتقر إلى النية ليصير بها خيراً، والنية في نفسها خير وإن تعذر العمل بعائق»^(٣).

□ وقال الغزالي في «الإحياء» (٤/ ٣٢٠): «لم يكن العمل بغير نية

والشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على الإحسان قال: «إسناده جيد».

(١) «الإحياء» (٤/ ٣١٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

مفيداً أصلاً؛ لأن من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظان أنه يمسح ثوباً لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة، فكان وجود ذلك كعدمه، وما ساوى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلاً، فيقال: العبادة بغير نية باطلة.

* قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّقُورُ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

□ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لا ينفع قول إلا بالعمل، ولا ينفع قول وعمل إلا بنية، ولا ينفع قول وعمل ونية إلا بما يوافق السنة»^(١).

□ وقال مطرف بن عبد الله: «صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصحة النية»^(٢).

□ وقال سفيان الثوري: «لا يستقيم قول إلا بالعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة»^(٣).

□ وقال يحيى بن معاذ الرازي: «صلاح الأمر أن يكون على نية»^(٤).

□ وقال ابن حزم: «النية هي سرّ العبودية وروحها، ومحلها من العمل محل الروح من الجسد، ومحال أن يُعتبر في العبودية عمل لا روح معه، بل هو بمنزلة الجسد الخراب»^(٥).

(١) «العدّة» (٨/١).

(٢) «حلية الأولياء».

(٣) «الحلية».

(٤) «تهذيب الحلية» (٢٦٦).

(٥) «إحكام الأحكام» لابن حزم (٧٠٦/٢ - ٧٠٧).

٧- نية الخير باقية أبداً لا تتوقف أبداً إن توقف العمل :

• «قد تتوقف بعض الأعمال البدنية المطلوبة شرعاً كالهجرة، وذلك عندما ينتشر الإسلام وتصبح كلمة الله هي العليا، وكصلة الأرحام إذا لم يكن للمرء رحم يصله، ولكن نية العمل الخير باقية دائمة لا تتوقف أبداً، يقول الرسول ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية»^(١)،^(٢).

٨- قاصد الخير يثاب بنيته وإن لم يصب المراد :

إذا قصد العبد القيام بفعل خير شرعه الله، إلا أن هذا الفعل لم يقع الموقع المناسب فإن صاحبه يثاب بقصده ونيته.

• يوضح هذا الحديث المبارك الذي قاله النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق الليلة على سارق، فقال: اللهم لك الحمد على سارق! لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق الليلة على زانية! فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق الليلة على غني، فقال: اللهم لك الحمد على سارق، وعلى زانية، وعلى غني! فأُتِي، فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقتك، وأما

(١) «مقاصد المكلفين» (ص ٨٨).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» - كتاب جزاء الصيد- باب لا يحل القتال بمكة

(٤/٤٦) «فتح»، ومسلم في «صحيحه»- كتاب الإمارة (١٣/٨)، وأبو داود في

«سننه»- كتاب الجهاد- باب الهجرة هل انقطعت؟ (٣/٧).

الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله»^(١).

٩- النيات تُميِّز الأعمال:

قد تتفق الأعمال في صورها، ويتميّز بعضها عن بعض بالنيات.

- فالنطق بالشهادتين مخلصاً هذا بأفضل المنازل، فإذا نطق بهما نفاقاً يريد إحراز ماله ودمه كان بشرّ المنازل.

والساجد لله فعله من أعظم القربات، والساجد لغير الله فعله من أعظم الذنوب، وذبح البهائم صورته واحدة، فالذي يذبحه لغير الله فقد أذنب وعصى، والذي يذبحه لله فقد برّ وأطاع^(٢).

والنيات تُميِّز العبادات عن العادات:

- فالنيات تُميِّز بين ما يفعل لرب السماوات من عبادة وبين العادات.

- فمن الغسل ما يكون من الأحداث، ومنه ما يكون للتبرّد، والاستحمام والمداواة.

- ودفع المال منه ما يكون هبة، أو هدية، ومنه ما يكون قرابة إلى الله، كالزكاة، والصدقات، والكفّارات.

- والإمساك عن المفطرات: منه ما يكون حمية وعلاجاً، ومنه ما يكون قرابة إلى الله وهو الصيام والنية هي التي تُميِّز بينهما.

(١) رواه أحمد (٢/٣٢٢، ٣٥٠)، والبخاري، ومسلم (٧/١١٠)، وابن ماجه.

(٢) انظر: «مقاصد المكلفين» (ص ١٠١).

- والذبائح منها ما يكون لتغذية الأبدان وضيافة الضيفان، ومنها ما يكون تقريبًا للملك الديان كالهدى والأضاحي والنية تميز بينهما.

والنيات تميز رتب العبادات:

فالنية هي التي تميز رتبة الفجر عن فرض الفجر إذا صلاهما المصلي منفردًا، وبها يميز القضاء عن الأداء، وفي النفل تميز الراتب عن غيره، وكذلك في الفرض تميز مثلًا الظهر عن العصر، والمنذورة عن المفروضة بأصل الشرع.

- وفي العبادات المالية: تميز الصدقة الواجبة عن النافلة، والزكاة عن المنذورة والنافلة.

- وفي الصوم تميز صوم النذر عن صوم النفل، وصوم الكفارة عنهما، وصوم رمضان عمًا سواه.

- وفي الحج تميز الحج عن العمرة، والحج المفروض عن المنذور والنافلة.

- وكما قلنا فإن النية تؤثر في الفعل، فيصير تارة حرامًا، وتارة حلالًا، وصورته واحدة تفرق بينهما النية فقط.

فالقرض في الذمة، وبيع النقد بمثله إلى أجله، صورتها واحدة، والأول قرينة صحيحة، والثاني معصية باطلة.

□ قال ابن القيم رحمته في كتابه «الروح»: «الشيء الواحد تكون صورته واحدة، وهو ينقسم إلى محمود ومذموم، فمن ذلك التوكل والعجز، والرجاء والتمني، والحب لله، والحب مع الله، والنصح والتأديب، وحب الدعوة إلى الله وحب الرياسة، وعلو أمر الله والعلو في

الأرض، والعفو والذل، والتواضع والمهانة، والمودة والحق، والاحتراز وسوء الظن، والهدية والرشوة، والإخبار بالحال والشكوى، والتحدث بالنعم شاكراً والفخر بها. فإن الأول من كل ما ذُكر محمود، وقرينه مذموم، والصورة واحدة، ولا فارق بينهما إلا القصد^(١).

١٠- النيات تحول العادات إلى عبادات:

إن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لله رب العالمين، ويرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعلانه عبادة متقبلة.

وإن خبث الطوية، يهبط بالطاعات المحضنة فيقلبها معاصي شائنة فلا ينال المرء منها بعد التعب في أدائها إلا الفشل والخسار. والحق أن المرء ما دام قد أسلم لله وجهه وأخلص نيته، فإن حركاته وسكناته ونومه ويقظاته، تُحتسب خطوات إلى مرضاة الله.

□ قال الغزالي رحمته: «ما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات، فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة، ولا ينبغي أن يستحقر العبد شيئاً من الخطرات والخطوات واللحظات»^(٢).

فالغافل من يغفل عن تحويل المباحات إلى طاعات، فمن أتى شيئاً من مباح الدنيا لم يُعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة بقدره، وناهيك خسراناً بأن يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى.

(١) انظر: «مقاصد المكلفين» (ص ٦٩، ٧٠، ٧١).

(٢) «الإحياء» (٤/٣٢٣).

فالعاقل من يجمع بين إتيان المباحات ولا يُنقص من الأجر والحسنات بتحسين النيات، ولهذا قال بعض العارفين من السلف: «إني أستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء» وكل ذلك مما يكون أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى؛ لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين، كمن قصد من الأكل التقوي على العبادة.

• بل ويقضي شهواته ومع النية الصالحة تحوّل إلى طاعة وقربات فمن نوى بالوقوع تحصين دينه، وتطيب قلب أهله، والتوصل به إلى نسل صالح يعبد الله تعالى بعده فتكثر به أمة محمد ﷺ كان مطيعاً بأكله ونكاحه. قال ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة».

وأغلب حظوظ النفس من الأكل والوقوع قصد الخير بها غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة.

• عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني النبي ﷺ عام حجة الوداع من مرض أشفيت^(١) منه على الموت، فقلت: يا رسول الله! بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا»، قال: أفأتصدق بشطره؟ قال: «الثلث يا سعد، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عائلة يتكفّفون^(٢) الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرك الله بها،

(١) أي: أشرفت منه على الموت. انظر: «النهاية» (٢/٤٨٩).

(٢) العالة: الفقراء، جمع عائل، و«يتكفّفون الناس»: أي يمدون أكفهم إليهم ليسألوهم «النهاية» (٣/٣٣١)، و(٤/١٩٠).

حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك»، قلت: يا رسول الله! أخلف بعد أصحابي^(١)؟ قال: «إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون...»^(٢).

• وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها، كانت له صدقة»^(٣).

• وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخلاف^(٤)، قال: واليمن مخلافان، ثم قال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا»، فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً فسلم عليه، فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جمعت يداه

(١) قال النووي: «قال القاضي عياض: معناه أخلف بمكة بعد أصحابي، فقال له إما إشفافاً من موته بمكة لكونه هاجر منها وتركها لله تعالى فخشي أن يقدر ذلك في هجرته أو ثوابه عليها، أو خشي بقاءه بمكة بعد انصراف النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وتخلف عنهم بسبب المرض، وكانوا يكرهون الرجوع فيما تركوه لله تعالى، ولهذا جاء في رواية أخرى «أخلف عن هجرتي» انظر «شرح النووي على صحيح مسلم» (٧٨/١١).

(٢) رواه البخاري حديث رقم (٥٦، ١٢٩٥، ٢٧٤٢، ٢٩٣٦)، ومسلم (١٦٢٨).

(٣) رواه البخاري (٥٥)، ومسلم (١٠٠٢).

(٤) المخلاف: الإقليم.

إلى عنقه^(١)، فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس^(٢) أَيْمَ هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يُقتل، قال: إنمَّا جيء به لذلك، فانزل، قال: ما أنزل حتى يُقتل، فأمر به فقتل، ثم نزل فقال: يا عبد الله! كيف تقرأ القرآن؟ قال: تفوقه تفوقًا^(٣) قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي^(٤).

ومعنى قوله: «فأحتسب نومتي: أي أنه يرجو الأجر في إراحة جسده بالنوم ليكون أنشط له في العبادة بعد قيامه من نومه، يرجو الأجر على ذلك مثلما يرجو الأجر على قيامه وتعبه في عبادة الله، وذلك لأن العمل المباح إذا فعله العبد ونوى بفعله إياه أن يستعين به على طاعة الله كان هذا المباح عبادة يثاب عليها العبد؛ لأنه ابتغى بذلك وجه الله تعالى^(٥).

١١- شرف النيات بباعتها وهو القلب:

يحق للنِّيَّات أن تشرف بموجدتها وباعثها وهو القلب؛ فالقلب سيد الأعضاء ومليكتها، وهو الأمر الناهي، والأعضاء تطيعه، لا تعصي له أمرًا

(١) أي: شدت يداه وربطت مع رقبتة.

(٢) هذا اسم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٦٢/٨): «أي الأزم قراءته ليلاً ونهاراً وشيئاً بعد شيء وحيناً بعد حين، مأخوذ من فواق الناقة، وهو أن تحلب ثم تترك ساعة حتى تدر، ثم تحلب، هكذا دائماً».

(٤) رواه البخاري في كتاب «المغازي»- باب بعث معاذ وأبي موسى إلى اليمن قبل حجة الوداع «فتح الباري» (٦٠/٨، ٦٢، ٦٣) حديث رقم (٤٣٤١ - ٤٣٤٥).

(٥) «فتح الباري» (٦٢/٨)، و(٢٧٥/١٢).

ولا تخرج عن حكمه، فهو منها بمنزلة الراعي من الرعية.

فإذا كان هذا شأن القلب فالنية وهي عمل قلبي لها فضل على الأعمال الظاهرة، وفضلها عليها كفضل القلب على الأعضاء الظاهرة.

□ يقول علي القاري في هذا: «قال سهل: ما خلق الله تعالى مكاناً أعزّ وأشرف عنده من قلب عبده المؤمن، وما أعطى كرامة للخلق أعزّ عنده من معرفته، فجعل الأعزّ في الأعزّ، فما نشأ في أعزّ الأمكنة يكون أعزّ مما نشأ من غيره..»^(١).

١٢- النية عمل السر وعمل السر أفضل من عمل العلانية:

النية خفية غير ظاهرة، فلا يستطيع العبد أن يرائي بنيتها؛ لأن الناس لا اطلاع لهم على المستتر في القلوب، بخلاف الأعمال الظاهرة البيّنة فقد يداخلها الرياء، وكثير من الآفات التي تعرض للعمل الظاهر تأتي من هذا الداء الوبيل والآفة الماحقة، فالرياء يبطل الأعمال ويفسدها، ويخبث النفوس ويدسّيها: فأما النية إن كانت صالحة فكما يقول ابن الجوزي: «من أصلح سريره؛ فاح عيب فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فالله الله في السرائر؛ فإنه ما ينفع مع فساده صلاح ظاهر»^(٢).

١٣- الجمع بين النيات في العمل الواحد تجارة العلماء الرابعة:

□ يقول أبو طالب المكي: «النية الصالحة هي أول العمل الصالح وأول العطاء من الله تعالى وهو مكان الجزاء، وإنما يكون للعبد من ثواب الأعمال على حسب ما يهب الله تعالى له من النيات، فربما اتفق في العمل

(١) «مقاصد المكلفين» (٩٧، ٩٨).

(٢) «صيد الخاطر» لابن الجوزي (ص ٣٥٥).

الواحد نيات كثيرة على مقدار ما يحتمل العبد من النية، وعلى مقدار علم العامل، فيكون له بكل نية حسنة، ثم يضاعف كل حسنة عشر أمثالها؛ لأنها أعمال تجتمع في عمل»^(١).

□ وقال الغزالي في «الإحياء»: «الطاعات مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها، أما تضاعف الفضل: فبكثرة النيات الحسنة، فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب، إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها.

□ ومثاله القعود في المسجد فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقرّبين. أولها: أن يعتقد أنه بيت الله وأنه داخله زائرًا لله، فيقصد به زيارة مولاه وَعَلَىٰ

ثانيها: أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَرَابِطُوا﴾.

ثالثهما: الاعتكاف، وكف السمع والبصر والأعضاء.

ورابعها: عكوف الهم على الله ولزوم السرّ للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال في المسجد.

وخامسها: التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكر وللتذكر به، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن

(١) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/٣٠٨ - ٣٠٩).

يتعلم خيراً أو يعلمه كان له كأجر حاج تاماً حجة»^(١).

• وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح».

وسادسها: أن يقصد إفادة العلم بأمر بمعروف ونهى عن منكر، إذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده إلى الدين فيكون شريكاً معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته.

وسابعها: أن يستفيد أخاً في الله فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة، والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفي الله.

وثامنها: أن يترك الذنوب حياءً من الله تعالى وحياءً من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمه، وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال: أخاً مستفاداً في الله، أو رحمة مستنزلة، أو علماً مستظرفاً، أو كلمة تدل على هدى، أو تصرفه عن ردى، أو يترك الذنوب خشية أو حياءً».

مثال آخر: استعمال الطيب مباح، ويمكن جمع النيات الحسنة فيه: مثل أن ينوي به اتباع سنة رسول الله ﷺ، وينوي بذلك أيضاً تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائراً لله إلا طيب الرائحة، وأن يقصد به تعظيم وتوقير الملائكة، فإن الملائكة للتأذى مما يتأذى منه ابن آدم، وأن يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند

(١) قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/٣٢٣): «إسناده جيد».

مجاورته برائحته، وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي إلى إيذاء مخالطيه، وأن يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه، فمن تعرّض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قال:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراجلين هم

□ وأن يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمّات دينه بالفكر؛ فقد قال الشافعي رحمته الله: «من طاب ريحه زاد عقله».

فهذا طريق تكثير النيات، وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة، وإنما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جدّه في طلب الخير وتشمّره له وتفكره فيه، فبهذا تزكو الأعمال وتكثر الحسنات.

فهذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالباً على قلبه ^(١) فيا لعظم النيات.. ويا لكرم المولى الودود، ويا لعظم هذا الدين.

الاحتساب:

□ قال الكفوي: «الاحتساب: هو طلب الأجر من الله تعالى بالصبر على البلاء مطمئنة نفس المحتسب غير كارهة لِمَا نزل بها من البلاء» ^(٢).

□ قال ابن الأثير: «الاحتساب في الأعمال الصالحة وعند

(١) «الإحياء» (٤/٣٢٢ - ٣٢٣، ٣٢٤).

(٢) «الكليات» للكفوي (ص ٥٧).

المكروهاتِ هو البدارُ إلى طلبِ الأجرِ وتخصيله بالتَّسليمِ والصَّبْرِ، أو باستعمالِ أنواعِ البرِّ والقيامِ بها على الوجهِ المرشومِ فيها طلبًا للثوابِ المرجُوِّ منها»^(١).

إنَّهُ إذا كان الاحتسابُ بمعناه الذي ذكره الكفويُّ، أو بمعنيهِ اللذين ذكرهما ابنُ الأثيرِ يعني أن يعدَّ الإنسانُ صبرَهُ في المكارِهِ وعملَهُ الطاعةَ ضمنَ ما له عند الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنَّ اكتفاءَ الإنسانِ باللهِ تعالى وثقتهُ به واتكالُهُ في نُصرتِهِ على عونهِ كَمَا يُفهم من كلامِ الطَّبْرِيِّ^(٢)، نوعٌ من الاحتسابِ، كَمَا أنَّ رضا العبدِ بِمَا قُسمَ له مع الاكتفاءِ به، كَمَا يُؤخَذُ من تفسِيرِ القرطبيِّ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ [التوبة: ٥٩] احتسابٌ أيضًا^(٣). من ثمَّ يكونُ الاحتسابُ ثلاثةَ أنواعٍ هي:

- ١ - احتسابُ الأجرِ من الله تعالى عند الصَّبْرِ على المكارِهِ، وخاصةً فقدُ الأبناءِ إذا كانوا كبارًا.
- ٢ - احتسابُ الأجرِ من الله تعالى عند عملِ الطاعاتِ يُبتغى به وجهُهُ الكريمِ كَمَا في صومِ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا، وكذا في سائرِ الطَّاعاتِ.
- ٣ - احتسابُ المولى عَزَّ وَجَلَّ ناصرًا ومُعِينًا للعبدِ عند تعرُّضه لأنواعِ الابتلاءِ من نحوِ منعِ عطاءٍ أو خوفِ وقوعِ ضررٍ، ومعنى الاحتسابِ في هذا النوعِ الثالثِ الاكتفاءُ بالمولى عَزَّ وَجَلَّ ناصرًا

(١) «النهاية» لابن الأثير (١/٣٨٢).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ حَسِبْنَا اللَّهُ﴾ الآية [التوبة: ١٢٩].

(٣) «تفسير القرطبي» (٨/١٦٧).

وَمُعِينًا وَالرِّضَا بِمَا قَسَمَهُ لِلْعَبْدِ إِنْ قَلِيلًا وَإِنْ كَثِيرًا.
وستتكلّم في فصلنا هذا عن النوع الثاني من الاحتساب وهو
الاحتساب عند الطاعات.

* قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢٧) [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ
الْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴾ (١٩) [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوفِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢١٨) [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ
وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَافًا ضَعْفَتِ
فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣٥) [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَن
يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُقْسِمُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْتِ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ ﴾ (٧٧) [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ
مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ

تُوِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴿النساء﴾.

* وقال تعالى: ﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ ذُرِّيَّتَهُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿يَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ فطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْقُوتَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَنْقُوتَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا نَنْقُوتَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا نَنْقُوتَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ نَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا

نَنْفُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴿[الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِذِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان].

* وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَنَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾﴾ [الليل].

• عن أبي عليه السلام عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ وَعَجَلًا فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ، وَسُنَّتُ قِيَامَهُ. فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ احْتِسَابًا، خَرَجَ مِنَ الذُّنُوبِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(١).

• عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا^(٢)، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ^(٣)»^(٤).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يَصَلِّيَ عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ»^(٥).

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٣/٦٦٠).

(٢) يحتسبها: أي يقصد بها طلب الثواب.

(٣) صدقة: أي يثاب عليها كما يثاب على الصدقة.

(٤) رواه مسلم (١٠٠٢).

(٥) رواه البخاري واللفظ له (٤٧/١)، ومسلم (٩٤٥).

أمثلة على علو الهمة في الاحتساب^(١) وجمع النيات فيه

في الدعوة إلى الله :

- احتساب أجر الدلالة على الخير: فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»^(٢).
- احتساب أجر الدعوة إلى الهدى: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»^(٣).

□ ثواب تعليم الناس الخير، وصلاة الله وملائكته عليه.

□ ثواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ينطق به الداعي.

- ثواب الكلمة الطيبة كما يقول رسول الله ﷺ: «إِن الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقَى لَهَا بِأَلَّا يَرْفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ»^(٤).

- احتساب أجر هداية الناس: كما جاء في حديث سهل بن سعد: «..فوالله لأن يهدي بك الله رجلاً واحداً خير لك من حُمْرِ النَّعَمِ»^(٥).
- احتساب ثواب جميع حركات الجوارح التي تستخدم في الدعوة.
- احتساب أجر النَّفْعِ المتعدي.

(١) «كيف تحتسب الأجر في حياتك اليومية» لهناء بنت عبد العزيز الصنيع - طبع دار الأرقم - مصر.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) جزء من حديث رواه البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة خيبر (٣/١٣٤).

- احتساب زكاة العلم الشرعي، والحفظ له من النسيان.
- بركة دعاء النبي ﷺ لمن علم مقالته فوعاها وحفظها وبلغها.
- ثواب امتثال أمر الرسول ﷺ حين قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً..»^(١).
- * احتساب طاعة أمر الله ﷻ حيث قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ..﴾ [النحل: ١٢٥]. احتساب أجر التعاون على البر والتقوى. احتساب ثواب لسد ثغرة للمسلمين.
- احتساب حمل الدعوة إلى الله ﷻ، واحتساب الصبر على ما يناله العبد من أذى، لقوله ﷺ: «ما يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصْبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا - إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٢).

- * احتساب نصره الإسلام وأهله. ابتغاء أن يهديك الله إلى صراطه المستقيم ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].
- احتساب ثواب قضاء حاجة المسلمين وتفريج كربهم وذلك برفع الجهل عنهم.
- احتساب ثواب مواجهة الفساد والتصدي له. احتساب إبراء الذمة أمام الله.

ماذا تحتسب عند استعمالك للهاتف:

والناس فيه بين غالٍ ومُفَرِّطٍ، فليتق الله العبد في وقته، فإن من عبادة

(١) رواه البخاري (٦/٣٤٦١).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢).

السلف وعلماؤه من كان يَسْفُ خبزه سَفًّا ويقول: «بين السَّفِّ والمضع خمسون آية - أو خمسون تسبيحة».

فماذا ينوي الحاذق عند استعماله للهاتف جمعًا للنيات واقتناصًا للحسنات.

- ١- ثواب صلة الرحم عند محادثة ذوي الرحم.
- ٢- ثواب إدخال السرور على مَنْ تحدّثه عند اتصالك للسلام عليه والسؤال عن أحواله.
- ٣- ثواب الكلمة الطيبة في مكالمات التهئة أو التعزية أو الوعظ «الكلمة الطيبة صدقة»^(١).
- ٤- احتساب نية العبادة والتقرّب إلى الله.
- ٥- احتساب الحفاظ على الوقت باستعمال الهاتف لعمل أكثر من عبادة في وقت قصير.
- ٦- أجر قضاء حوائج المسلمين.. عندما يتصل بك من يطلب بعض المساعدات أو حل المشاكل.
- ٧- احتساب أجر طلب العلم الشرعي.
- ٨- احتساب ثواب طلب النصيحة من أهلها، وبذلها لمن يحتاج إليها من خلال الهاتف.
- ٩- تحسب النساء زيادة إلى ما مرّ أجر القرار في البيوت ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فعند استخدامها للهاتف تُقلّل من

(١) رواه البخاري (٦/٢٩٨٩).

حاجتها إلى الخروج.

١٠- ثواب الدعوة إلى الهدى والدلالة على الخير.

١١- احتساب أجر الإصاحبة بين الناس.

أخي: بادر إلى النية الصالحة.. فمن لك أن تسلم نيتك؟

□ عن إسماعيل بن أبي حكيم - وكان كاتب عمر بن عبد العزيز بالمدينة - ولم يزل معه بالشام - قال: دخل عبد الملك على أبيه عمر فقال: أين وقع لك رأيك فيما ذكر لك مزاحم من ردّ المظالم؟ قال: على إنفاذه، فرفع عمر يديه، ثم قال: الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني، نعم يا بني، أصلي الظهر إن شاء الله، ثم أصدع المنبر فأردها على رؤوس الناس، فقال عبد الملك: يا أمير المؤمنين، مَنْ لك بالظهر، وَمَنْ لك يا أمير المؤمنين إن بقيت أن تسلم لك نيتك للظهر؟ قال عمر: فقد تفرّق الناس للقائلة، فقال عبد الملك: تأمر مناديك فينادي الصلاة حتى يجتمع الناس، فأمر مناديه فنادى، فاجتمع الناس وقد جيء بسفط أو جونة فيها تلك الكتب وفي يد عمر جلم يقصه حتى نوذي بالظهر»^(١).

كف فانظر إلى كلام الأكابر وكيف أخلصوا ومحصوا نيّاتهم.

استسقوا بإصلاح نيّاتكم.. بقلوب سماوية لا بقلوب أرضية:

□ قال أبو محمد الصلحي الكاتب: «نادى منادي المتقي في زمن خلافته في الأسواق: إن أمير المؤمنين يقول لكم معشر رعيتيه: أن امرأة

(١) «تهذيب الحلية» (٢/٢٤٤).

صالحة رأت النبي ﷺ في منامها، فشكت احتباس القطر^(١)، فقال لها: قولي للناس يخرجون في يوم الثلاثاء الأدنى، ويستسقون ويدعون الله، فإنه يسقيهم في يومهم، وإن أمير المؤمنين يأمركم معاشر المسلمين بالخروج في يوم الثلاثاء، كما أمركم رسول الله ﷺ، وأن تدعوا وتستسقوا بإصلاح من نيّاتكم، وإقلاع من ذنوبكم.

قال: فأخبرني الجهم الغفير أنهم لما سمعوا النداء ضجّت الأسواق بالبكاء والدعاء. فشقّ ذلك علي، وقلت: منام امرأة لا يُدرى كيف تأويله، وهل يصح أم لا، يُنادي به خليفة في أسواق مدينة السلام؟ فإن لم يسقوا كيف يكون حالنا مع الكفار؟ فليته أمر الناس بالخروج ولم يذكر هذا. ومازلت قلقًا حتى أتى يوم الثلاثاء، فقيل لي: إن الناس قد خرجوا إلى المصلى مع أبي الحسن أحمد بن الفضل بن عبد الملك، إمام الجامع، وخرج أكثر أصحاب السلطان، والفقهاء والأشراف.

فلما كان قبل الظهر، ارتفعت سحابة، ثم طبقت الآفاق، ثم أسبلت عزاليها^(٢) بمطر جود^(٣). فرجع الناس حفاة من الوحل^(٤).

□ وجاء في ترجمة «سعدون المجنون»: «قال عطاء السليمي: احتبس علينا القطر بالبصرة فخرجنا نستسقي، وإذا بسعدون المجنون، فلما أبصرني قال: يا عطاء إلى أين؟ قلت: خرجنا نستسقي. قال: بقلوب

(١) القطر: المطر.

(٢) عزاليها: إشارة إلى شدّة وقع المطر.

(٣) المطر الجود: المطر العزيز.

(٤) «الكامل» لابن الأثير (٣٧٧/٨)، و«المنتظم» لابن الجوزي (٣١٩/٦)، و«فوات

الوفيات» لابن شاعر الكتبي (٤٨/٢ - ٤٩).

سماوية أم بقلوب أرضية؟ قلت: بقلوب سماوية. قال: لا تبهرج فإن الناقد بصير. قلت: ما هو إلا ما حكيت لك، فاستسق لنا. فرفع رأسه إلى السماء، وقال: أقسمتُ عليك إلا سقيتنا الغيث، ثم أنشأ يقول:

أَيَّامَن كَلَّمَا نُوْدِي أَجَابَا وَمَن بَجَلَالِهِ يَنْشِي السَّحَابَا
وَيَا مَن كَلَّم الصَّدِيقَ مُوسَى كَلَامًا ثَمَّ أَلْهَمَهُ الصَّوَابَا
وَيَا مَن رَدَّ يُوْسُفَ بَعْدَ ضَرْ عَلَى مَن كَانَ يَنْتَحِبُ انْتِحَابَا
وَيَا مَن خَصَّ أَحْمَدَ وَاصْطَفَاهُ وَأَعْطَاهُ الرِّسَالَةَ وَالْكِتَابَا

اسقنا، فأرسلت السماء شأيب كأفواه القرب»^(١).

نور الدين زنكي لا يفعل شيئاً إلا بنيةً سالحة:

□ قال ابن الأثير: «كان رحمته لا يفعل فعلاً إلا بنيةً حسنة، كان بالجزيرة رجل صالح، كثير العبادة والورع، شديد الانقطاع عن الناس، وكان نور الدين يكاتبه ويراسله، ويرجع إلى قوله، فبلغه أن نور الدين يُدْمِنُ اللعب بالكرة، فكتب إليه يقول له: «ما كنت أظنك تلهو وتلعب وتعذّب الخيل لغير فائدة دينية»، فكتب إليه نور الدين رحمته بخط يده - يقول: «والله ما يحملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر، إنما نحن في ثغر والعدو قريب منا، وبينما نحن جلوس، إذ يقع صوت فركب في الطلب، ولا يمكننا أيضاً ملازمة الجهاد ليلاً ونهاراً، شتاءً وصيفاً، إذ لا بد من الراحة للجند، ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت جماماً^(٢) لا قدرة

(١) «فوات الوفيات» لابن شاعر الكتبي (٤٨/٢ - ٤٩).

(٢) الجمّام: الراحة. وجمّ الفرس: إذا ترك ولم يُركب.

لها على إدمان السير في الطلب، ولا معرفة لها أيضًا بسرعة الانعطاف والكرّ والفرّ في المعركة، فنحن نركبها ونروّضها بهذا اللعب، فيذهب جَمَامُهَا، وتتعوّد سرعة الانعطاف والطاعة لراكبها في الحرب، فهذا والله الذي يبعثني على اللعب بالكرة».

□ قال ابن الأثير: «فانظر إلى هذا الملك المعدوم النظير، الذي يَقُلُّ في أصحاب الزوايا المنقطعين إلى العبادة مثله، فإن من يجيء إلى اللعب يفعلُه بنية صالحة، حتى يصير من أعظم العبادات وأكثر القربات - يقلُّ في العالم مثله، وفيه دليل على أنه كان لا يفعل شيئًا إلاّ بنية صالحة، وهذه أفعال العلماء الصالحين العاملين».

إِيهِ صَلاَحُ الدِّينِ .. طَوِيَّةٌ مَا أَطْهَرَهَا، وَنَفْسٌ مَا أَشْجَعَهَا وَأَجْسَرَهَا!!

□ قال القاضي ابن شداد عن صلاح الدين: «في سنة أربع وثمانين - لَمَّا ودّع أخاه وعسكر مصر بعسقلان -، سرنا على الساحل طالبين عكا، وكان الزمان شتاء عظيمًا، والبحر هائجًا هيجانًا عظيمًا، وموجه كالجبال كما قال الله، وكنت حديث عهد برؤية البحر، فعظم أمر البحر عندي، حتى خُيِّلَ لي أنني لو قال لي قادر: لو جُزَّتْ في البحر ميلًا واحدًا ملكتك الدنيا لَمَّا كنتُ أفعل، واستخففتُ رأي من يركب البحر رجاء كسب دينار أو درهم، هذا كله خطر لي لعظم الهول الذي شاهدته من حركة البحر وتموّجه، فبينما أنا في ذلك، إذ التفت إليّ، وقال: في نفسي أنه متى يسّر الله تعالى فتح بقية الساحل قسّمت البلاد، وأوصيتُ وودّعت، وركبت هذا البحر إلى جزائره أتبعهم فيها، حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله، أو أموت. قال: فعظم وقع هذا الكلام عندي، حيث

ناقض ما كان يخطر لي، وقلت له: ليس في الأرض أشجع نفساً من المولى، ولا أقوى نيةً في نصرته دين الله، وحكيت له ما خطر لي، ثم قلتُ له: ما هذه إلا نيةً جميلة، ولكن المولى يسير في البحر العساكر وهو سور الإسلام، ولا ينبغي أن يخاطر بنفسه. فقال: أنا أستفتيك، ما أشرف الميئات؟ فقلت: الموت في سبيل الله. فقال: «غاية ما في الباب أن أموت أشرف الميئات».

قال: فانظر إلى هذه الطوية، ما أطهرها! وإلى هذه النفس ما أشجعها وأجسرها! اللهم إنك تعلم أنه بذل جهده في نصرته دينك رجاء رحمتك، فارحمه»^(١).

كلام طبيب لأديب الإسلام - مصطفى صادق الرافعي -:

□ يقول الرافعي في كتابه «وحي القلم» تحت عنوان «نية المؤمن خير من عمله»: «إن نية المؤمن لا تنطوي إلا على الخير الكامل، فهو - ما دامت نيته على صلاحها وسره على إخلاصه - لا يعد اليسير من الشر يسيراً، ولا يرى الكثير من الخير كثيراً؛ فالأصل القائم في تلك النية المؤمنة ألا يبدأ الشر كي لا يوجد، وألا ينتهي الخير كي لا يفنى، فالمؤمن من ذلك على الخير والكمال أبداً، في حين أن عمله بطبيعته الإنسانية يتناول الخير والشر جميعاً، ثم لا يكون إلا عملاً إنسانياً على نقص واضطراب والتواء».

- وقد لا يستطيع المؤمن أن يأتي الخير في بعض أحواله، ولكنه يستطيع دائماً أن ينويه ويرغب فيه ويعزم عليه، ليحقق ضميره في

(١) «عيون الروضتين» لأبي شامة (٢/٣٠٩ - ٣١١).

كل ما يهّم به، ويحصر أفكاره في قانون نيّته المؤمنة. وهذا هو الأساس في علم الأخلاق لا أساس من دونه.

- والنية من بعد هي حارس العمل؛ فكل إنسان يستطيع أن يدعّن وأن يأبى، ومن ثم تكون هذه النيّة ردّاً ومدافعة من ناحية، واستجابة ومطاوعة من الناحية الأخرى، فهي على الحقيقة متى صلحت كانت استقلالاً تامّاً للإرادة، وكانت مع ذلك ضبطاً لهذه الإرادة على حال واحدة هي التي ينتظم بها قانون المبدأ السامي.

- ثم إنه لا ضابط لصحة العمل واستقامته إلاّ النية الصحيحة المستقيمة؛ فالتزوير والتليس كلاهما سهل ميسور في الأعمال، ولكنهما مستحيلان في النية إذا خلصت.

- وهي كذلك ضابط للفضائل توجه القلوب على اختلافها وتفاوتها اتجاهاً واحداً لا يختلف، فيكون طريق ما بين الإنسان والإنسان، من ناحية الطريق ما بين الإنسان وبين الله.

- وأشواق الروح بطبيعتها لا تنتهي، فيعرضها الجسم بجعل حاجاته غير منتهية؛ يحاول أن يطمس بهذه على تلك، وأن يغلب الحيوانية على الروحانية، فإذا كانت النية مستيقظة كفته وأماتت أكثر نزعاته، ووضعت لكل حاجة حداً ونهاية، وبذلك ترجع النية إلى أن تكون قوة في النفس يخرج بها الإنسان عن كثير مما يحده من جسمه، ليخرج بذلك عن كثير مما يحده من معاني الأرض.

- وهي بعد هذا كله تحمل الإنسان أن ينظر إلى واجبه كأنه رقيب حي في قلبه، لا يُرائيه ولا يجامله، ولا يُخدع من تأويل، ولا يُعزّز بفلسفة ولا تزيين، ولا يُسكته ما تُسوّل النفس، ولا يزال دائماً يقول للإنسان في قلبه: إن أكبر الخطأ أن تُنظّم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك.

- وجملة القول في معاني النية أنها قوة تجعل باطن الجسم متساوياً مع ظاهره، فتتعاون الغرائز المختلفة في النفس تعاوناً سهلاً طبيعياً مطّرداً، كما تتعاون أعضاء الجسم على اختلافها في اطرادٍ وسهولة وطبيعة»^(١).

النية:

□ قال الرافعي: «أول النفس النية العاملة لآخرتها، وآخر النفس ما تؤدي إليه أعمال هذه النية؛ فليس في إنسان الدنيا إلا إنسان العالم الآخر؛ وبهذا يقدر صمته وكلامه، وحركته وسكونه، وما يأتي وما يدع، وما يحب وما يكره، إذ كل شيء منه على ذلك الاعتبار إنما هو صورة الحقيقة العاملة فيه»^(٢).

□ قال المناوي في «نية المرء خير من عمله»: «لأن تخليد الله العبد في الجنة ليس بعمله وإنما هو لنيته؛ لأنه لو كان بعمله كان خلوده فيها بقدر مدة عمله أو أضعافه لكنه جازاه بنيته؛ لأنه لو كان ناوياً أن يطيع الله

(١) «وحي القلم» للرافعي.

(٢) «وحي القلم» للرافعي.

أبدًا فلمَّا اخترمته منيته جوزي بنيته، وكذا الكافر؛ لأنه لو جُوزي بعمله لم يستحق التخليد في النار إلاَّ بقدر مدة كفره؛ لأنه نوى الإقامة على كفره أبدًا لو بقي فجوزي بنيته، ذكره بعضهم».

النية في كل شيء:

- قال الثوري لعلي بن الحسن: «اعمل بنية، وكلَّ بنية واشرب بنية».
- وعن ابن المبارك سألت الثوري عن الرجل يصلي أي شيء ينوي بصلاته قال: «ينوي أن يناجي ربه».
- وعن مكي بن إبراهيم قال: «دخلت على سفيان بن سعيد يومًا وبين يديه رغيف وكفّ زبيب - أو حفنة - فقال لي: ادن يا مكّي، قلت: يا أبا عبد الله دخلت إليك غير مرة وأنت تأكل فلم تدعني قبلها، قال: اليوم حضرني النية»^(١).
- وعن عمر بن ذر قال: «ربما قيل لإبراهيم التيمي: تكلم! فيقول: ما تحضرني نية»^(٢).
- وقالت أخت داود الطائي له: «لو انتقلت من الشمس إلى الظل! فقال لها: هذي خطي لا أدري كيف تُحسب».

أقوال في النية:

- قال سفيان الثوري: «عليك بتقوى الله ولسان صادق ونية خالصة، وأعمال شتى سالحة، ليس فيها غش ولا خدعة، فإن الله يراك وإن لم

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (٢/٤٠٢، ٣٠٤).

(٢) «تهذيب الحلية» (٢/٣٨٦ - ٣٨٧).

تكن تراه، وهو معك أينما كنت، لا يسقط عليه شيء من أمرك، ولا تخدع الله فيخدعك، فإنه من يخادع الله يخدعه، ويخلع عنه الإيمان ونفسه لا تشعر.. وأحسن سريرتك يُحسِنِ اللهُ علائِكَ، وأصلح فيما بينك وبين الله يصلح اللهُ فيما بينك وبين الناس»^(١).

ومن الناس من تكون نيته وهمة أجل من الدنيا وما عليها، وآخر نيته وهمة من أخس نية وهمة، فالنية تبلغ بصاحبها في الخير والشر ما لا يبلغه عمله، فأين نية من طلب العلم وعلمه ليصلي الله عليه وملائكته وتستغفر له دواب البر وحيتان البحر إلى نية من طلبه لمأكل أو وظيفة كتدريس، وسبحان الله كم بين من يُريد بعلمه وجه الله والنظر إليه وسماع كلامه وتسليمه عليه في جنة عدن وبين من يطلب حظاً خسيساً كتدريس أو غيره من العرض الفاني»^(٢).

ليهنك أبا سليمان النية والحظوة:

□ أمر الصديق خالد بن الوليد بالتوجه لقتال الروم في الشام، وأثنى على خالد ثناء عطرًا، فقال: «إنه لم يُشجَّ الجموع من الناس - بعون الله - شجاك، ولم ينزع الشجِّي من الناس نزعك، فليهنك أبا سليمان النية والحظوة، فأتَمِّمِ يَتَمِّمِ اللهُ لك، ولا يدخلنك عجبٌ فتخسر وتخذل، وإياك أن تدلَّ بعمل، فإن الله له المَنُّ، وهو وليُّ الجزاء»^(٣).

□ وفي يوم اليرموك وقف معاذ بن جبل رضي الله عنه وقال للناس مثنيًا على

(١) المصدر السابق.

(٢) «فيض القدير» (٦/٢٩٢).

(٣) «تاريخ الطبري» (٣/٣٨٤).

خالد رضي الله عنه: «أما والله - إن أطعتموه، لتطيعنَّ مبارك الأمر، ميمون النقيبة، عظيم الغناء، حسن الحسبة والنية».

وقال أيضًا عن خالد: «أما إني لأرجو أن الله قد أعطاه بصيرة على جهاد المشركين وشدته عليهم وجهاده إياهم مع حسن بصيرته وحسن نيته وإعزاز دينه أحسن الثواب، وأن يكون من أفضلنا بذلك عملاً»^(١).



(١) «البداية والنهاية» (٧٩ / ٩).